جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة : الثالثة

المادة: تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر

عنوان المحاضرة : السيطرة العثمانية على اقطار المشرق العربي

العام الدراسي : ٢٠٢٥ / ٢٠٢٦م

سنة النشر : ٢٠٢٦م

أسم التدريسي : أ.م.د. رؤى جمال خضر

الإيميل الجامعي للتدريسي : ruaa.j.k@tu.edu.iq

كان الوطن العربي في اعقاب سقوط الدولة العربية الاسلامية على يد المغول سنة ١٢٥٨ يتألف من جزأين المشرق العربي ويضم الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق واقطار الخليج العربي . والمغرب العربي ويضم ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . ولقد عانى المشرق العربي من التمزق السياسي والتدهور الاقتصادي . وكان المماليك يحكمون الجزء الغربي من المشرق العربي وذلك منذ ان انتزع المماليك السلطة من الايوبيين في منتصف القرن الثالث عشر . وبعد تغير طرق التجارة واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول تجارة اوربا مع الشرق الى هذا الطريق الجديد بدلاً من مرورها بمصر ، عانت الدولة المملوكية تدهورا في اوضاعها الاقتصادية . اذ فقد المماليك مورداً ماليا كبيراً كانوا يحصلون عليه من الضرائب المفروضة على البضائع التي كانت تنقلها القوافل عبر اراضيهم . وقد وقع عبء هذا التدهور على عاتق الطبقات الشعبية الكادحة من اصحاب حرف ومزارعين ، اذ فرضت السلطة المملوكية الضرائب الفادحة التي كانت موضع استياء الشعب انذاك .

اما الجزء الشرقي من المشرق العربي والمتمثل بالعراق فقد كان تحت الاحتلال الفارسي منذ سنة ١٥٠٨ . وقد تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة لسياسة الاهمال التي اتبعها الفرس ، فقد كثرت الاوبئة واهملت مشاريع الري وظل نظام الاراضي يعاني كثيراً من الفوضى .

اتجه العثمانيون بعد انتصارهم في موقعة جالديران سنة ١٥١٤ للتوسع على حساب دولة المماليك في بلاد الشام خاصة بعد ان شعر العثمانيون بانهم اصبحوا القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الخطر الاستعماري الاوربي الذي بات يهدد العالم الاسلامي انذاك . وكانت حجة العثمانيين في الاصطدام بالمماليك ، ان امارة ذوالقدر

، وهي امارة تركمانية صغيرة تأسست في منتصف القرن الرابع عشر وتقع في الجنوب الشرقي من الاناضول على الحدود الشامية وعاصمتها مرعش قد تعاونت مع دولة المماليك ، وعرقلت سير القوات العثمانية اثناء تقدمها لمحاربة الايرانيين . وهكذا وقعت الحرب بين الدولتين ، وجرت معركتها الحاسمة على ارض سوريا في سهل مرج دابق في ٢٣ آب ١٥١٦ الى الشمال من مدينة حلب وكان السلطان سليم الاول يقود الجيش العثماني . اما الجيش المملوكي فكان بقيادة السلطان قانصوه الغوري (١٥٠٠-١٥١٧) ووضح منذ اللحظة الاولى للمعركة انه ليس ثمة تكافؤ بين الطرفين في مجال التنظيم وادارة الحرب ونوعية الاسلحة المعتمدة . وكان لخيانة قائدين مملوكيين للسلطان الغوري وهما خايربك نائب حماه وجان بردي الغزالي نائب حلب وتبادلهما الرسائل سراً مع السلطان سليم اثر كبير في هزيمة المماليك ومقتل السلطان الغوري وانسحاب بقية القوات المملوكية المنهزمة الى مصر وملاحقتها والاشتباك معها على مشارف القاهرة عند الريدانية في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧ . وقد انتهت المعركة بهزيمة المماليك ودخول العثمانيين مدينة القاهرة في اليوم السادس والعشرين من الشهر نفسه وبذلك هوت الدولة المملوكية التي امتد حكمها من سنة ١٢٥٠ وحتى سنة ١٥١٧

وكان من الطبيعي ان يتبع سقوط دولة المماليك سقوط الحجاز واليمن ، وذلك لان المماليك كانوا اصحاب السيادة عليهما . وقد اعلن زين الدين بركات بن محمد الحسني شريف مكة (١٤٩٧-١٥٢٥) ولاءه للسلطان العثماني وارسل وفداً برئاسة ابنه ابي نمي الى القاهرة في ٣ تموز ١٥١٧ ليلقي بين يدي السلطان سليم بمفاتيح الكعبة وبعض الآثار النبوية الشريفة اقراراً له بالسيادة على الحجاز . كما ارسل اسكندر الجركسي حاكم اليمن المملوكي وفداً آخر ليقدم فروض الولاء للسلطان العثماني الذي وافق على ابقائه في منصبه . الا ان الصراعات الداخلية بين القادة

المماليك انفسهم من جهة وازدياد نفوذ الامامة الزيدية في الجبال من جهة اخرى جعلت السيطرة العثمانية في اليمن ضعيفة ، هذا فضلاً عن الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية مباشرة .

اما العراق ، فقد سيطر العثمانيون على الموصل والمناطق المجاورة لها بعد انتصار السلطان سليم الاول في جالديران . اذ أبقى فرهاد باشا احد قواده لاكمال احتلال الولايات المتاخمة للحدود العثمانية . وقد أمر فرهاد باشا بيقلي محمد باشا بالسيطرة على الموصل واربيل وكركوك وقد تم احتلالها سنة ١٥١٥ . غير ان الحكم العثماني ، في هذه المناطق ظل قلقاً بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين انذاك .

اما العراق الاوسط والجنوبي ، فقد بقي تحت الاحتلال الفارسي . وقد أعد السلطان سليم الاول حملة لاحتلال العراق وطرد الفرس الصفويين لكن المنية عاجلته سنة ١٥٢٠ . وعندما تبوأ السلطان سليمان القانوني العرش (١٥٢٠-١٥٦٦) وضع في منهاجه توجيه ضربة قوية الى الدولة الصفوية عن طريق السيطرة على العراق والذي يمكن ان تتخذه الدولة العثمانية ، فيما بعد كقاعدة للانطلاق نحو الخليج العربي تعزيزاً لجهودها في مواجهة البرتغاليين في البحرين الاحمر والعربي .

لقد حاول السلطان سليمان القانوني في بداية الأمر تنفيذ احتلال العراق باستمالة بعض حكامه المحليين ، ولكن هذه الخطوة كانت سبباً في جعل العراق ساحة للصراع العثماني – الفارسي . وكاد السلطان سليمان يحقق هدفه بالسيطرة على العراق حين اعلن ذوالفقار علي بيك نفسه حاكماً على بغداد ، وعزل عمه ابراهيم

خان موصلو ، وتقرب من العثمانيين واظهر الولاء لهم ، الا ان الشاه طهماسب الذي تولى الحكم بعد ابيه اسماعيل الصفوي سنة ١٥٢٤ قام بهجوم كبير على بغداد سنة ١٥٣٠ وتمكن من قتل ذوالفقار واخماد حركته واعادة العراق الى الحكم الفارسي ثانية .

شجعت هذه الاحداث السلطان سليمان القانوني الذي تحرك في سنة ١٥٣٤ بجيش كبير متجها نحو تبريز ثم همدان وعبر جبال زاكروس وتوجه غربا نحو بغداد . وقد انسحبت الحامية الفارسية منها اثر سماعها بانباء وصول الجيش العثماني ، وهكذا دخل السلطان سليمان القانوني بغداد في ٣٠ كانون الاول ١٥٣٤ . وقد اعقب احتلال العراق امتداد النفوذ العثماني الى منطقة الخليج العربي ، اذ صارت البصرة بعد تأكيد السيطرة العثمانية الفعلية عليها سنة ١٥٤٦ القاعدة الثانية بعد السويس . وقد بدأ الصراع بين العثمانيين

والبرتغاليين حوالي سنة ١٥٥٠ عندما اعلن اهالي القطيف ولاءهم للعثمانيين وفي ١٥٥١ ارسل السلطان العثماني قائد البحر بيري بك على رأس اسطول يتألف من ثلاثين سفينة لاحتلال عدن . وقد واصل العثمانيون جهودهم في تركيز سطوتهم في الخليج العربي والسعي لكسر الطوق البرتغالي على التجارة فيه . فاسندت قيادة الاسطول العثماني في مصر سنة ١٥٥٣ الى سيدى علي الذي اصطدم باسطول برتغالي قوي عند هرمز ، لكنه فشل في تحقيق اهدافه .

وبعد حملة سيدي علي ارسلت الى الخليج العربي بضع حملات عثمانية ، الا انها لم تنجز اكثر من احتلال مؤقت للبحرين سنة ١٥٥٩ ولمسقط سنة ١٥٨١ وفي كلتا الحالتين اجبرتها الاساطيل البرتغالية على الانسحاب . ولقد تولت دولة اليعاربة في عمان منذ قيامها سنة ١٦٢٤ مسؤولية الصراع مع البرتغاليين ونجحت في عهد حكامها الاوائل وخاصة ناصر بن مرشد ١٦٢٤ – ١٦٤٩

وسلطان بن سيف ١٦٤٩–١٦٦٨ في القيام بحركة تحريرية كبرى شملت الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية . وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطيء الشرقي للخليج العربي آخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون سنة ١٦٩٥ .

ان اسباب عدم نجاح العثمانيين نجاحاً تاماً في كفاحهم ضد البرتغاليين يرجع الى عدم كفاءة بعض قادتهم البحريين وقيامهم باعمال تعسفية ازاء السكان العرب ، وصعوبة تجهيز وادامة اسطولهم بما يكفي لمواجهة الاساطيل البرتغالية المحيطية الكبيرة وانشغالهم في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الامبراطورية الرومانية المقدسة وضد الصفويين.